



مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الفلسفة من التمرکز الإنساني إلى التمرکز البيئي أسس الفلسفة البيئية

محمد هاشمي
باحث مغربي

20
23

◆ بحث محكم
◆ قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية
◆ 22 نونبر 2023

الفلسفة من التمرکز الإنساني إلى التمرکز البيئي
أسس الفلسفة البيئية

المخلص:

يهدف هذا البحث إلى رصد الأسس العلمية والفلسفية والتاريخية التي قامت عليها الفلسفة البيئية. شكل مفهوم البيئية بشكل خاص، وقضايا البيئية بشكل عام، القضية الأكبر والأبرز في الفترة المعاصرة، وهذا ليس فقط بالنسبة إلى مبحث الفلسفة، ولكن بالنسبة إلى جميع المباحث والميادين كالاقتصاد والسياسة والعلم والدين والأخلاق... غير أن الدراسة الفلسفية لهذه القضية المستجدة تسعى لتكوين نظرة سيروراتية لها؛ لأن الاهتمام بالبيئية وكل القضايا والمشكلات التي تطرحها شكلت محط نقاش فلسفي كبير خلال القرن 20، حاول من خلاله الفلاسفة نقد الأسس الفلسفية التي قامت عليها النزعة الذاتية التي ميزت لفترة الحديثة، وخاصة الأساسين الأخلاقي والمعرفي اللذين من خلالهما تم الترويج لفكر أن الإنسان هو من الناحية الأخلاقية الكائن الأهم في الكون، وأنه مركز كل معرفة بالعالم، وهو ما يعني أن النزعة البيئية في الفلسفة جاءت نقيضاً للنزعة الذاتية؛ لأن النزعة البيئية تنظر إليه كجزء فقط من منظومة بيئية كبيرة. لهذا يسعى هذا العمل البحثي إلى رصد هذا التحول في الفلسفة من الفترة الحديثة إلى الفترة المعاصرة، باعتبار أن الفلسفة البيئية إحدى أبرز نتائج ذلك التحول. لهذا أوسمنا هذا التحول بأنه انتقال من التمرکز الذاتي (الذي يحيل إلى الفلسفة الحديثة) إلى التمرکز البيئي (الذي يشير إلى الفلسفة المعاصرة). ويرتكز هذا العمل في الأساس على منهجية تأصيلية تسعى لتحديد الأسباب والعوامل الذي أدت إلى حدوث ذلك التحول، والتي يمكن توزيعها على ثلاثة حقول معرفية أساسية مهدت لظهور النزعة البيئية، هي العلم والفلسفة والثقافة/الحضارة.

تقديم:

إن ما نقصده بالفلسفة البيئية في هذا العمل هو ذلك النمط من التفكير الذي أصبح يعتبر قضية البيئة هي قضيته الأولى، وقد يشير إلى الأعمال الفردية للفلاسفة والعلماء كما قد يشير إلى الوثائق الرسمية للمؤسسات حول البيئة مثل مؤسسة الأمم المتحدة. وسنطلق في هذا العمل من تسويخ فكرة أن فهم ظهور الفلسفة البيئية غير ممكن إلا عبر هدم المقولات التي تأسست عليها الفلسفة الحديثة بما هي قائمة على النزعة الذاتية. فإذا كان التمرکز البيئي يبني أدبياته على فكرة أن الإنسان هو، فقط، جزء من منظومة بيئية شاملة تضم الملايين من الكائنات الحية في إطار ما يسمى في الدراسات البيئية بالتوازن الطبيعي، فإن هذه الفكرة لم تكن ممكنة إلا بعد هدم فكرة أن الإنسان هو مركز الكون كما كانت تعتبر الفلسفة الحديثة. وهكذا سيتضح لنا أن ظهور الفلسفة البيئية هو، من زاوية معينة، تحول في الفكر الفلسفي له أسبابه وعوامله التي أدت إليه، هي موضوع هذا العمل البحثي.

لقد ركز العمل الفلسفي في الفترة الحديثة على تحديد معالم الوعي والهوية الإنسانية، من أجل بيان تميز الإنسان مقارنة مع باقي الكائنات. لقد مثل كانط أوج النزعة الذاتية؛ لأنه أكبر فيلسوف حاول الولوج إلى أعماق الذات الإنسانية، فتطویره لمفهوم العقل الخالص وللمنهج الترنسندنطالي جعله أول من يتم توجيه سهام النقد لهم عند نقد النزعة الذاتية؛ لأن فلسفته هي التي غدت بشكل كبير الثنائية التي قامت عليها النزعة الذاتية (ذات/موضوع- تجربة/عقل - فكر/واقع). لهذا، فالفلاسفة المعاصرون الذين رفضوا بشدة تلك الثنائية يتجهون إلى كانط وليس إلى ديكارت، مثل الفيلسوف الأمريكي جيمس الذي طور مفهوما مضادا تماما للعقل الخالص، وهو التجربة الخالصة التي يقصد بها البيئة كوسط تعيش فيه الكائنات بما فيها الإنسان.

في النظرية الأخلاقية، تم في الفترة الحديثة الترويج لفكرة أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمتلك الكرامة ويستحق الاحترام إذا ما تمت مقارنته مع باقي الكائنات؛ فكانط عبر عن هذا بشكل واضح في كتبه مثل نقد العقل العملي وتأسيس ميتافيزيقا الأخلاق. صحيح أن هذا الاعتبار الأخلاقي لكانط كانت له دواعيه التاريخية التي يمكن إرجاعها إلى أن كانط ومعظم الفلاسفة أصحاب النزعة الذاتية، قد سعوا إلى تحرير الإنسان من قبضة اللاهوت الكنيسي الذي يقدم الإنسان على أنه مجرد خطيئة وغير قادر¹؛ وذلك من خلال القول بحرية الإنسان وقدرته على المبادرة والقيام بالسلوك الفاضل، إلا أن هذه النظرة أدت إلى نتائج لم يتقبلها الفلاسفة المعاصرين، أهمها النظرة الذرية للإنسان كأنه جزء مفكر ومعزول، فهو في نظر المعاصرين كائن تابع لسياق اجتماعي وطبيعي لا يمكن فصله عنه. لهذا، فالنظريات الأخلاقية المعاصرة قامت على الفكرة السياقية للإنسان؛ أي إنه يستمد القيم من بيئته وليس من ذاته.

1 يمكن النظر إلى الفلسفة الحديثة على أنها انخرط في نقاش الاستطاعة والجبر (الحرية والضرورة) الذي بدأ في اللاهوت الوسيط، سواء في السياق المسيحي أو السياق الإسلامي. ومن المعلوم أن الكثير من اللاهوتيين من دعم فكرة أن الإنسان يختار أفعاله، غير أن هناك مدارس كبرى دعمت فكرة أن أفعال الإنسان مكتوبة ولا اختيار له فيها. ونظرا للنهائيات المازقية لهذا الموقف فيما يتعلق بمسألة السلوك والمسئولية، فقد ذب مجموعة من الفلاسفة في الفترة الحديثة مثل كانط إلى تبرير حرية الإنسان واختياره لأفعاله.

أما في المجال العلمي، فقد قام العلم الطبيعي الحديث على فكرة المرجع الذي يشكل الأساس المتين للعلم ألا وهو الذات الإنسانية. فديكارت، باعتباره أب الفلسفة الحديثة، وضع قوام الفيزياء الحديث الذي يعتبر المعرفة بالذات هي أصل المعرفة بالعالم، غير أن فكرة ديكارت هذه قد جاءت في ظل سياق كبير اتجه لإعطاء الأهمية للذات في عمليات المعرفة. والمقصود هنا الثورة الكبرنيكية في علم الفلك (من مركزية الأرض إلى مركزية الشمس) التي بينت أن الراصد يلعب دورا حاسما في تحديد وتفسير حركات الكواكب. لهذا انكب علماء الفترة الحديثة إلى تبرير أهمية العلوم التجريدية في فهم قوانين الطبيعة، وإلى بيان أن هذه القوانين لا يمكن تمثيلها إلا على شكل قوى وأشكال هندسية وأعداد، وهو ما حصل مع غاليلي ونيوتن وغيرهما، غير أن النظرة العلمية الحديثة للعالم القائمة على اعتبار الذات مركز العلم انتهت إلى النزعة الميكانيكية التي لا تكتثر بالطبيعة، باعتبارها حياة. فالطبيعة حسب معظم علماء الفترة الحديثة هي علاقات ميكانيكية يمكن تفسيرها بالقوى، وهو ما يعني أن الطبيعة ميتة ولا تحس. وهذا ما لم يقبله العلم الطبيعي خلال القرن 19م؛ إذ حول دحض هذه النظرة الميكانيكية معوضا إياها بالنظرة العضوية للعالم، باعتباره خلية حيوية هائلة، وخاصة مع التطورية في إنجلترا والكيمياء والفيزياء وفلسفة الطبيعة naturephilosophie في ألمانيا. وقد كان هذا التحول العلمي أحد أساس ظهور الفلسفة البيئية.

انطلاقا من هذا الاعتبار، وإضافة إلى الأحداث التاريخية التي ميزت مطلق القرن 20 سنحاول رصد أسباب ظهور الفلسفة البيئية، باعتبارها فكرا ميز الفترة المعاصرة، خاصة وأن قضية البيئة الآن أصبحت هي قضية القضايا؛ لأنها تطرح على المحك الوجود البشري ووجود كل الكائنات على كوكب الأرض.

1. الأسس العلمية للفلسفة البيئية:

سنعمل في هذا المحور على رصد الأسس العلمية التي أدت إلى ظهور الفلسفة البيئية، وهذا عملا بمبدأ أن «خلف كل ثورة فلسفية توجد نظرية علمية كبيرة»²، وهي الأسس التي قامت على نقد النزعات الميكانيكية التي سيطرت على العمل العلمي خلال الفترة الحديثة، مستبدلة مفاهيمها بمفاهيم أخرى عضوية وديناميكية وحيوية. سنركز هنا بالخصوص على التطورية الداروينية وفيزياء الكوانطا.

1. التطورية الداروينية والإرث الطبيعي:

لا يختلف اثنان حول كون الثورة التي حدثت في البيولوجيا، والتي تعرف بصفة عامة بنظرية التطور، كانت الأرضية العلمية التي عجلت بظهور الفكر البيئي في الفترة المعاصرة. كانت هناك مساهمات كثيرة وكبيرة لمجموعة من العلماء في تضخيم النظرة التطورية للعالم، مثل جون-بابتيست لامارك وإراسموس داروين وتشارلز لييل وبوفون... غير أن نشر كتاب أصل الأنواع لشارلز داروين سنة 1859 شكل نقطة فارقة في

2 Baakrime abdelmajid, La relation perceptive selon Alhazen et ses retombées philosophiques.

تاريخ البيولوجيا، بل في تاريخ الفكر الإنساني عامة. لقد استطاع داروين قلب موازين القوى سواء على مستوى مضمون النظريات العلمية والمنطقية والفلسفية أو على مستوى المنهج المستخدم.

ففي المستوى الفلسفي والمنطقي، دحض داروين فكرة الماهيات المطلقة التي قامت عليها الفلسفة والمنطق منذ نشأتها عند اليونان،³ وهو ما لم تستطع أي فلسفة التصدي له. فداروين من خلال فكرة التطور بين أن لا شيء يحتفظ بمهية خالصة وخاصة به تميزه عن باقي الكائنات كما كان يعتقد أرسطو وغيره من الفلاسفة الحديثين مثل ديكارت. فصورة الشيء الحالية، وبالتالي صورة الحياة الحالية بصفة عامة، هي نتيجة لسيرورة طويلة من التطور. وهذا التطور يحدث بفضل العوامل الطبيعية مثل نوع الغذاء ونوع المناخ...⁴ لقد مكنت هذه الفكرة داروين من تجاوز الفكرة الفلسفية التي تسعى لتفسير تواجد الإنسان في الأرض تفسيراً متعالياً ومفارقاً؛ فالإنسان بالنسبة إلى التطورية جزء من السيرورة التاريخية للتطور، ولا يمكن تفسير ذكائه المتزايد إلا ضمن ما يسمى سلم التطور، وليس ضمن الإطارات الميتافيزيقية التي تفصله عن الطبيعة. لقد أدى هذا إلى تجاوز المنطق والأنطولوجيا المتعالية والفكرية، وأدت في المقابل إلى ظهور الأنطولوجيا البيئية (eco-ontology)⁵ والمنطق البيولوجي (bio-logic) الذي يسمى عند البراجماتيين، وخاصة شارل ساندرس بيرس وجون ديوي، بمنطق البحث (logic of inquiry).

أما على المستوى المنهجي، لقد بينت هذه أطروحة داروين أن المنهج الاختباري experimental method هو مفتاح فهم الطبيعة. لهذا أصبح البحث العلمي يتم في تخصصات جديدة كالباليونطولوجيا والزولوجيا والكيمياء...⁶ ويتم من خلال عملية الاستقراء، فقد كان داروين ينطلق في أبحاثه من دراسة خصائص الكائنات مثل الحمام والنباتات من أجل تكوين أفكار وخلاصات عامة حول الحياة وأشكالها. لقد شكل هذا المنهج ثورة حقيقية على المناهج الفكرية التي كانت توجه العمل العلمي خلال الفترة الحديثة. لهذا وجدنا من الفلاسفة من يقعد للاستقراء من داخل النظرية المنطقية، مثل ما قام به الفيلسوف الإنجليزي جون ستورت ميل في اعتباره للاستقراء منطلق البحث العلمي.

إن ما مدت به التطورية الداروينية الفكر المعاصر هو التوجه الطبيعي naturalism.⁷ هناك العديد من التأويلات لمقولة الطبيعية في الفلسفة؛ ذلك أن كل فيلسوف وظفها بحسب أغراضه الفلسفية، والتأويل الذي يهمننا بقوة هنا هو أن التوجه الطبيعي جاء كنفيز للنزعة الثنائية (dualism) في الفلسفة. فإذا

3 شارلز داروين، أصل الأنواع (ترجمة اسماعيل مظهر، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، 2015)، 71

4 المرجع السابق، ص. 85

5 هذا المفهوم من تطوير الفيلسوف الأمريكي توما ألكساندر (Thomas C. Alexander) ضمن كتابه: human eros: eco-ontology and aesthetic of existence.

6 John Dewey, The Influence of Darwin on Philosophy, p. 9

7 Teehan john, Evolution and Ethics: The Huxley/Dewey exchange (U. S. A.: the journal of speculative philosophy, 2002), p. 227

كانت الفلسفات الحديثة، مثل الديكارتية والكانطية، قد قاربت الإنسان والعالم من منطلق الفصل بينهما لدواعي معرفية، فالتوجه الطبيعي الذي وفرته التطورية الداروينية لا يقيم المعرفة بالطبيعة على الفصل بين الذات والموضوع؛ لأنه لا ينطلق من المقدمات والافتراضات العامة، بل ينطلق من الحالات الخاصة والملاحظة التجريبية. وهكذا، فمع هذا التوجه لم نعد بحاجة إلى فصل الذات عن الموضوع؛ لأنهما ضمن سياق واحد يتسم بالترابط والتكامل وهذا السياق هو البيئة.

2. ميكانيكا الكم ومفهوم الشروط الوجودية:

قد يبدو من غير المنطقي الحديث عن العلاقة بين ميكانيكا الكم (أو فيزياء الكوانطا) والفلسفة البيئية، إلا أن واقع الأمر يبين عكس ذلك، حيث كان هذا النموذج الفيزيائي المعاصر أحد مسببات ظهور الفلسفة البيئية. فهذا النموذج هو أحد تجليات النزعة الحيوية (vitalism) التي هيمنت على المشهد العلمي المعاصر. لقد حاول رواد فيزياء الكم، شرودنغر ونيلس بور وهايزنبرغ، هدم الصورة التي بناها نيوتن وديكارت وغاليلي عن العالم، باعتباره آلة ميكانيكية عظمى (great machin). سنركز على مجموعة من النقاط التي يبدو أن تفي بغرض إيضاح العلاقة بين هذين المبحثين، ونقصد بالضبط: مفهوم الشروط الوجودية (existensial conditions)، والتشابك الكمي (entenglement)، والترابط بين العارف والمعروف.

يمكننا مفهوم الشروط الوجودية، الذي يمكن إرجاعه إلى لعالم نيلس بور، من فهم التجاوز الذي أقامه فيزياء الكوانطا، إذا نظرنا إليه كنزعة حيوية، في حق الفيزياء الحديث، باعتباره نزعة ميكانيكية. فإذا كان الفيزياء الحديث يقوم على تفسير حركات الظواهر الطبيعية بناء على مفهوم القوى (forces)، كقوة الجاذبية مثلا، ويدعي الحياد عند قيامه بتجاربه على موضوعات الطبيعة؛ أي شبه غياب للتأثير في خصائص الموضوع ما يعني تحقق الموضوعية في الدراسة؛ فإنه فشل في تحديد ماهيات وطبائع تلك القوى وفشل أيضا في ادعاءاته حول الحياد والموضوعية؛ لأن الفيزياء المعاصرة أثبتت أن التفاعل بين الأشياء هما فيها التفاعل بين الدارس والمدرس تؤثر على عمليات الرصد، ما يعني أن تفسيرات الفيزياء الحديث يتجاوز ويتعالى على الشروط الوجودية لتلك للظواهر الطبيعية، وهو ما حاول فيزياء الكم تجاوزه من خلال تأكيده أن دراسة تلك الحركات غير ممكنة إلا في إطار الشروط الوجودية التي تتيح ظهور الشيء. لهذا اتجه الفيزياء المعاصر عموما إلى تفسير طبيعة الضوء، باعتباره الشرط الأكبر الذي يتيح ظهور الأشياء. يقول إتيان كلاين في هذا الصدد: «تنبثق من نصوص أحد الآباء المؤسسين لفيزياء الكوانطا؛ أي «نيلز بور»، صيغة أكثر جذرية لهذه الفكرة. يرى هذا الأخير أن الموضوعات الكوانطية لا تمتلك محمولا خاصا. إنها كيانات غير قابلة للفصل عن شروط ملاحظتها»⁸. تعطينا هذه الشروط الوجودية فكرة أن الظاهرة الطبيعية غير معزولة، وإنما هي في ترابط وتفاعل تامين مع ظواهر أخرى. وهذه الفكرة هي من بين الأهداف الرئيسية التي تريد الفلسفة البيئية تأكيدها ضمن أدبياتها.

تفتح لنا هذه الأفكار الباب للحديث عن مفهوم التشابك الكمي في فيزياء الكوانتا، وهو المفهوم الذي طوره العالم إرفين شرودينغر.⁹ يحتل هذا المفهوم منزلة محورية في ذلك الفيزياء، ولسنا هنا من أجل شرح خصوصياته العلمية والمعادلات المبرهنة عليه، ولكن من أجل التركيز على فكرة التفاعل (interaction) التي يقوم عليها؛ فالتأويل المفهومي للتشابك الكمي يفيد بأن دراسة حركة جسيم معين غير ممكنة إلا من خلال رصد تفاعلاته مع باقي الجسيمات، وهذه ظاهرة أساسية بالنسبة إلى رواد فيزياء الكوانتا. إن الغريب في تفسير ترابط الجسيمات هو أنها تستمر في التفاعل حتى لو تم إبعادها عن بعضها لمسافات طويلة. وفي الوقت الذي كان فيه رواد التفسير الكمي مثل شرودنغر يبحثون عن تفسيرات هذا السلوك، اعتبره أينشتاين سلوكاً مستحيلاً؛ لأنه ظل يجتر بقايا الذات الحديثة من خلال تأكيده أن قوانين ومبادئ ومفاهيم النظرية الفيزيائية هي إبداع حر للعقل البشري، وليس بحثاً في الشروط الوجودية للظواهر الطبيعية.

يمكننا من خلال هذه الفكرة، استيعاب أن أشياء الطبيعة حسب فيزياء الكم مترابطة بشكل لا يمكن معه فصلها عن بعضها، وهو ما يعني أن هذا الارتباط ليس مجرد ترابط وجودي، ولكنه ترابط وظيفي وفعال. من الزاوية الحيوية، لا تكون الترابطات بين الأشياء غاية في ذاتها، بل تكون من أجل غايات أخرى أكثر مما نتصور. لقد انتبه العلم المعاصر اليوم، وخاصة علوم البيئة وعلوم الحياة الأرضية والفضائية، إلى أن الأشياء تؤثر وتتأثر مع بعضها بغض النظر عن المسافة القائمة بينهما، فحياة ملايين الكائنات البشرية وغير البشرية في جنوب الأرض مرتبطة بالقطب الشمالي المتجمد، بل مرتبطة بالغلاف الجوي وما خلفه مثل الشمس. لهذا نجد مجموعة من المفكرين يربطون بين فيزياء الكوانتا وقيام الفكر والخطاب البيئيين، وعلى سبيل المثال الفيلسوف الأمريكي جاك بيرد كاليكوت J. B. Callicott من خلال مؤلفه الهام «القيمة المحيطة، النظرية الكوانتية، والإتيقا البيئية» (ethics environmental and ,theory quantum ,value Intrinsic). يبرهن كاليكوت في هذا الكتاب على مكانية تأسيس إتيقا تحتضن كل الكائنات، بناء على خلاصات ميكانيكا الكم التي هدمت ثنائية ذات/موضوع التي قام عليها العلم والفلسفة الحديثين.

لقد أدت أفكار التشابك الكمي وهدم مقولات الثنائية إلى نتاج تصور فلسفي يمكن وصفه بـ«عدم الفصل بين العارف والمعروف»، ففكرة التأثير والتأثر المتبادلين بين أشياء الطبيعة تنتج لنا في مستوى المعرفة أن العارف والمعروف ينتميان للمستوى نفسه، وليس أن الذات تكون عالماً خاصاً مفصلاً من حيث القوانين عن عالم الموضوع المدروس. لقد ترجم الفلاسفة المعاصرون هذه الفكرة في كتاباتهم الفلسفية، وخاصة الأمريكيين منهم مثل وليام جيمس وجون ديوي. تحدث جيمس عن هذه المسألة في كتابه «مقالات في الاختبارية الراديكالية» (essays in radical empiricism) من خلال ما سماه «التجربة الخالصة» (pure experience) الذي يقصد به أن الواقع مكون من وسط قائم بذاته فيه تتفاعل الأشياء وفيه يطرأ كل شيء، وهذا الواقع هي البيئة، وهو الأمر نفسه الذي عبر عنه ديوي في كتابه «المعرفة والمعروف» (knowing and the known) بتطبيقه

عن مسألة المعرفة؛ فالعارف لا يأتي بهدف المعرفة إلى موضوع مفصول عنه، بل إنهما في تفاعل مستمر ولا نهائي؛ لأن العارف أحيانا يكون هو موضوع المعرفة، فهما معا (أي العارف والمعروف) ينتميان لما يسمه ديوي المنظومة المشتركة (common system) الذي هو في آخر المطاف البيئية.

ا. الأسس الفلسفية للفلسفة البيئية:

يتعين علينا هنا إيضاح أن قيام الفلسفة البيئية لم يكن ممكنا إلا بعد هدم المقولات التي قامت عليها الفلسفة الحديثة بحسبانها فلسفة مضادة للبيئة (anti-environment)؛ إذ من غير الممكن التأسيس للفلسفة البيئية من داخل فلسفة تقوم على تخصيص مفاهيم مثل الذات والوعي والهوية والقيمة على الإنسان وحده دون غيره من الكائنات، وهو ما سماه المفكر الفرنسي جاك بوفريس J. Bouveresse بأسطورة الداخل (le mythe de l'intériorité). ومن أجل ذلك سنركز على الانتقادات التي وجهها بعض الفلاسفة لفرضيات الفلسفة الحديثة، وخاصة نقد وليام جيمس للوعي، ونقد فتغنشتاين للهوية الشخصية، ونقد توم ريغان لمفهوم القيمة عند كانط.

3. نقد وليام جيمس للوعي:

في مقالة: هل يوجد الوعي (does 'consciousness' exit?)، التي نشرت سنة 1912 ضمن كتاب مقالات في الاختبارية الراديكالية، وجه وليام جيمس نقدا لادعا لمقولة الوعي. ولمعرفة قوة هذا النقد يمكن ملاحظة ما قاله برتراند راسل بخصوصه. وقد تعمدنا الإدلاء بموقف راسل لأنه يمثل الفلسفة ذات المدخل المنطقي، بينما يمثل جيمس الفلسفة ذات المدخل السيكولوجي، وبالتالي فهما من الناحية الخارجية فلسفتين متضادتين، غير أن راسل أقر في مجموعة من المواضيع من مؤلفاته، مثل تطوري الفلسفي وتاريخ الفلسفة الغربية، بأن النقد الذي وجهه جيمس للوعي هو ما ضمن له مكانة إلى جانب الفلاسفة. أما ما تبقى من فلسفته، فهي في الطب النفسي.¹⁰ وأكثر من ذلك، فقد تبني راسل علم النفس كما طوره جيمس في مؤلفاته المتأخرة؛ لأنه اهتم فيه رائحة النزعة العلمية الواقعية، نظرا لأن راسل هو الآخر صاحب نزعة واقعية قائمة على العلم.¹¹ فأين تتمثل هذه النزعة في فلسفة جيمس؟

10 يعد برتراند راسل من أهم الفلاسفة في الفترة المعاصرة ويعود له الفضل في تأسيس التيار التحليلي في الفلسفة. تقوم تحليلية راسل على إرجاع العالم إلى قضايا اللغة بالنظر إليها كبنية منطقية، وهو الحل الذي بدا لراسل لحل مشكل عدم جدوى الذات في ضم العالم، بعد الانتقادات التي وجهها الفلاسفة لمبادئ الفلسفة الحديثة القائمة على تصورات معينة للذات. ومن جهة أخرى، تقوم تحليلية راسل على تصور معين وشامل للمنطق، وهو ما يعني معاداته للنزعات التجريبية، أو على الأقل عدم وضعه للتجربة كإطار للمعرفة، شأنه ذلك شأن إنشتاين. في حين تقوم تجريبية وليام جيمس على عدم اعتبار المنطق مدخلا أساسيا للفلسفة، بل إن المدخل الأساسي هو علم النفس والتجربة، وهو ما يتضح في جنوح فلسفة جيمس في مراحلها الأخيرة إلى الاعتناء بالتجربة الخالصة. غير أن هذا التعارض في المواقف الفلسفية لم يمنع راسل من الاعتراف بأهمية تصور جيمس في إنكاره للوعي في إطار تصوره التجريبي الواقعي الذي دافع عنه في كتاب مقالات في التجريبية الراديكالية. فراسل يقر بأن وليام جيمس يستحق مكانته بين الفلاسفة فقط لأنه قدم الحجج القوية على عدم ضرورة العلاقة بين ثنائية الذات والموضوع، حيث قال: «وأنا من جانبي مقتنع بأن «جيمس» كان على حق في هذا الأمر [أي إنكاره للوعي]، ويستحق، على هذا الأساس وحده، منزلة عالية بين الفلاسفة. وقد كنت أظن غير ذلك حتى أقنعني هو». يمكن العودة إلى: برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، 1977، ص. 466

من أجل الإجابة عن هذا التساؤل، سنركز على مفهوم التجربة الخالصة (pure experience)¹² ودلالاته في فلسفة جيمس. في علاقته النقدية مع الفلسفة الحديثة، ركز جيمس على ثنائية ذات/موضوع، باعتبارها أصل المشكل الذي يجب الحسم معه وهدمه. لهذا نجده يقارب فلاسفة الفترة الحديثة انطلاقاً من هذه الزاوية بما فيهم هيغل الذي جاء بمقولة الوحدة بين العقلي والواقعي؛ لأن هذه الوحدة في نظر جيمس مجرد وحدة وهمية، ما دام أن سيرورة العقل تنطلق من الروح المطلق وتعود إليه. وإلى جانب ذلك يمكن فهم مقولة التجربة الخالصة على أنها النقيض التام لمفهوم العقل الخالص (pure reason) الذي طوره ديكرت وعمقه بشكل مهول كانط. سنركز هنا على الكانطية (حتى الكانطية الجديدة لأنها لم تعصف بالثنائية)، باعتبارها محور الفلسفة الحديثة الذي من خلاله تعمقت ثنائية ذات/موضوع. في مقالة هل الوعي موجود؟، أعلن جيمس حربه على الكانطية وعلى العقل الخالص، فإذا كان كانط يرى العالم والذات لا يمكن تمثيلهما إلا كبناء ذاتي وفق شروط قبلية، فجيمس بدأ مقالته بافتراض مصاد تماماً وهو وجود وسط قائم بذاته فيه يقع كل، وسط يوجد خارج الذات، بل إن الذات نفسها توجد في هذا الوسط، وقد سماه التجربة الخالصة. وهكذا يتضح أن اللبس الذي يمكن أن يثيره مفهوم التجربة الذي يستعمل لعدة أغراض فلسفية، وخاصة عندما يشير هذا المفهوم إلى التجربة الإنسانية، يزول لأن المعنى الذي منحه إياه جيمس يذهب مباشرة إلى كون التجربة هي الوسط الخارجي الذي توجد فيه جميع الكائنات وجميع العلاقات الممكنة. لهذا نجد جيمس يقول: «لنفترض وجود مادة أولية أو خام أولي هو مصدر كل شيء، وهذه المادة هي التجربة الخالصة»¹³.

إن ما فعله جيمس هو نقل الوعي الإنساني من الإطارات الذاتية (كما كان مع ديكرت وكانط) إلى الإطارات البيئية. فالقول إن الذات الإنسانية هي جزء فقط من وسط خارجي، معناه أن معالم الوعي لا يمكن فهمها إلا في سياق بيئي خارجي؛ أي إن الوعي لم يعد أمراً ذاتياً. فحسب جيمس، إن ما نطلق عليه «وعي» هو شيء غير موجود أصلاً، إنه، وفق كلمات جيمس، مجرد «وهم وخيال يطير في سماء الفلسفة»¹⁴؛ أي إنه فكرة من دون جذور تشدها إلى الأرض.

لقد كانت هذه الفكرة مدخلاً أساسياً للفكر الفلسفة البيئية، وهو ما فعله تلاميذ جيمس وخاصة جون ديوي. لقد فطن هذا الأخير إلى أن تصور جيمس للوعي هو تصور قوي ويتمشى مع خصوصيات الفترة المعاصرة، سواء تعلق الأمر بالمجال العلمي أو بالمجال الحضاري والتقني. لقد طور ديوي التصور البيئي للوعي عند جيمس وحاول تعميمه على مختلف المجالات كالاقتصادي والسياسي والأخلاقي، من خلال قوله بأنه الوعي البشري هو جزء من وعي كوني هائل. ركز ديوي لتأكيد فكرته هذه على المعنى الوظيفي للوعي، أي

12 قد يكون جيمس استلهم هذا المفهوم من أعمال داروين. فهذا الأخير في كتابه «أصل الأنواع» استعمل مصطلح «الطبيعة الخالصة» في حديثه عن كون التغيرات التي تطرأ على الكائنات إنما تحدث في الطبيعة بشكل تما، أي أن أسباب التغير الطبيعية محضة وليس هناك أي تدخل لأي عامل خارج الطبيعة، وهو معنى قريب جداً لما يقصده جيمس من مصطلحه «التجربة الخالصة». يمكن العودة إلى: داروين، أصل الأنواع، ترجمة اسماعيل مظهر، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 2015، ص. 81

13 James William, essays in radical empiricism (New York: Longmans, green and co, 1912), p. 4

14 Ibid., p. 2

الإجابة عن سؤال فيما ينفعنا الوعي امتلاكنا للوعي ككائنات حية في تفاعلاتنا مع بيئتنا؟ ركز ديوي على الوعي كقدرة على قراءة دلالات الأحداث البيئية واتخاذ القرار (awariness)، مع التأكيد أن هذه القدرة ليست بشرية خالصة؛ لأن كل الكائنات تستطيع القيام بذلك وفق قدراتها الخاصة. وبهذا يكون الوعي البشري مجرد جزء من وعي يتوزع على كل الكائنات التي نتقاسم معها البيئة وليس حكرا عن الإنسان كما اعتقد فلاسفة الفترة الحديثة.

4. نقد فتغنشتاين للهوية الشخصية:

انطلاقا من تأويل خاص، يمكن أن يشكل نقد الفيلسوف لودفيج فتغنشتاين لقضية الهوية الشخصية مدخلا أساسيا للفلسفة البيئية؛ لأن فتغنشتاين عمل على القيام بذلك النقد من أجل ربط الذات بسياقات استعمال اللغة، وهو ما يعني أنه لم يهدف بشكل صريح لتأسيس الفلسفة البيئية. لهذا سنعامل مع هذا النقد، باعتباره موجهها لأحد أهم المفاهيم التي قامت عليها الفلسفة الحديثة، وهو مفهوم الهوية الشخصية. عند فلاسفة الفترة الحديثة، مثل جون لوك وكانط، ترتبط الهوية الشخصية بالقدرة على التفكير والسلوك المسبوق بالتخطيط، وبما أحد الإنسان في نظرهم هو الكائن الوحيد العاقل فق ربطوا بين العقل الهوية الشخصية، غير أن فتغنشتاين عمل على دحض هذه الفكرة من خلال القول إن الهوية الشخصية ليست أمرا يتعلق بالقدرة على التفكير، ولكنه يتعلق بالاستعمالات السياقية للغة من أجل التواصل مع الغير بحسبانه مشاركا في الحياة. إن الهوية حسب فتغنشتاين ليست شيئا جاهزا، ولكنها شيء يظهر أثناء التواصل باستعمال اللغة. من هنا تحتل اللغة مكانة أساسية في تحديد الهوية عند هذا الفيلسوف.

في كتابه حول le mythe de l'intériorité يرى بوفريس أن هذه أفكار فتغنشتاين تندرج ضمن نظريته حول مقارنة فكر الإنساني دون الحاجة إلى فرضية «الذات». يستعمل بوفريس في هذا السياق تسمية الفيلسوف البريطاني التحليلي بيتر ستراوسن (1919-2006): نظرية «اللا-ذات» / أو نظرية «ليست هناك ذات» (théorie «pas-de-sujet» de). طور فتغنشتاين هذه النظرية في كتاب الرسالة في توجه نقيض للديكارتيّة. ذهب هذه الأخيرة إلى افتراض ضرورة وجود حامل لمختلف حالات الوعي والخصائص التي لجوهري البدن والروح، بينما عارضت نظرية فتغنشتاين هذه الفكرة؛ فحسبه ليست بنا حاجة إلى حامل للمحمولات النفسية.¹⁵ إن الذات توجد في التجربة، أي أنها جزء من هذا العالم الذي ننتمي إليه. وهذه التجربة هي اللغة.

اللغة عند فتغنشتاين هي وسيلة التفاعل مع الغير، والتي نتعلمها في سياق اجتماعي معين، وهو ما يعني أن لا هوية خارج التواصل الاجتماعي. في مرحلة الرسالة كان فتغنشتاين يرى أنه ليس هناك معنى يستبدل عبارة بنفسها، وأن عبارات الهوية من نوع أ = أ والعبارات التي يمكن اشتقاقها منها هي عبارات فارغة من المعنى تماما؛ أي إن العبارات المعزولة تبقى دائما بلا معنى كأن نقول مثلا «الحرب هي حرب» أو «القانون

هو قانون... إن الاستعمال السياقي الذي ينتج التفاهم بين الأفراد هو ما يمنح العبارات المعنى. لهذا، فمعنى الكلمة غير ممكن إلا في سياق استعمال معين. لهذا، نجد فتغنشتاين في الكتب المتأخرة، ككتابه حول اليقين وتحقيقات فلسفية، يعمل على تحديد طبيعة اللغة الطبيعية التي نستخدمها، حيث أكد أن المعنى متأصل في الاستخدام السياقي للغة. اللغة عند فتغنشتاين هي نمط للتفاعل (mode d'interaction) بين كائنين على الأقل وتفرض منظومة ثقافية ينتمي إليها المتفاعلين، وهي نفسها المنظومة التي يكونوا قد اكتسبوا فيها عادات الكلام. وبالتالي، فاللغة هي وسيلة لا بد منها من أجل التواجد في إطار «علاقة» مع الغير¹⁶، وهو ما يعني أن لا هوية خارج الجماعة التي هي في أصلها تجمع بشري في محيط بيئي معين.

5. نقد توم ريغان لمفهوم القيمة عند كانط:

يعد توم ريغان من أهم أعلام الفلسفة البيئية المعاصرين إلى جانب بيتر سينغر وبيرد كاليكوت ومايكل زيرمان... اتجهت كتابات ريغان الفلسفية إلى التركيز على إنشاء خطاب يثير المسألة الحقوقية في علاقتها بالأنواع الأخرى غير الإنسان، وخاصة حقوق الحيوانات. ومن أجل ذلك، عمل ريغان على العودة إلى النظرية الأخلاقية لكانط وإجراء بعض النقد عليها من أجل استيعاب هذا الخطاب الحقوقي الجديد، وما قام به بالتحديد هو توسيع نطاق المفاهيم الأخلاقية الكانطية، مثل مفاهيم المنزلة الأخلاقية (moral standing) والاحترام (respect) وحياسة القيمة (inherent value)... لتشمل باقي الحيوانات وليس فقط الإنسان كما حدث لها مع كانط.¹⁷ لقد بدا لريغان أن النظرية الأخلاقية الكانطية يمكنها أن تكون أرضية لتأسيس خطاب سياسي حقوقي يهتم بحقوق الأنواع الأخرى، انطلاقاً من مبدأ معاملة أي شيء كما نريد أن يُعامل معنا، لهذا يمكن بصعوبة وصف فلسفة ريغان على أنها كانطية جديدة (neo-Kantism)، وهي الكانطية البيئية. يواجه هذا الوصف كثير من التحديات؛ لأن فلسفة كانط قد تم تصنيفها على أنها معادية للفكر البيئي (على الأقل من طرف هذا البحث)، إلا أن ريغان أصر على إمكانية توظيفها في سياق الفلسفة البيئية. فكانت لم يفكر مرة بأن يؤسس الفلسفة التي تعترف بوجود العالم كوسط قائم خارج الذات، ورغم ذلك فريغان خاض هذه المغامرة من خلال التركيز على إمكانية توسيع نطاقات مفاهيم كانط الأخلاقية.

حسب ريغان، ليس فقط الإنسان هو من يملك القيمة الذاتية، بل حتى الأنواع الأخرى أيضاً. كانت تحليلية كانط للمسألة الأخلاقية تركز على الإنسان، باعتباره كائن قادر على القيام بالابتكار والتدبير الذاتي للتفكير والسلوك الأخلاقيين. ولهذا، فهو فشل في إشاعة المنزلة الأخلاقية على الحيوانات. لقد كان ريغان يعلم بأن الكانطية بالصيغة الساذجة التي بناها بها كانط لا تسعف أي تأويل بيئي لها. ولكنه مع ذلك أراد توسيع مفاهيم كانط لتشمل واقع الحيوان. ففكرة كانط حول الغايات والوسائل ظلت غامضة وقابلة لعدة تأويلات،

16 Bouveresse, le mythe de l'intériorité, p. 539

17 McDonald Hugh P., John Dewey and environmental philosophy (New York: state University of New York press, 2004), p. 7

فكانط طالب بعدم معاملة الشخص كما لو كان وسيلة لتحقيق غايات معينة، غير أنه لم يدع إلى استعمال الحيوان كوسيلة؛ أي إنه لم يكن مثل ديكارت الذي دعا إلى السيطرة على الطبيعة. من هذه الزاوية، وقد تحققت الشرطية العلمية للحديث عن حقوق الحيوان، يمكن توسيع نطاق معالجة كانط للغاية والوسيلة ليشمل الحيوان أيضا، حيث يمكن القول إنه لا يجب التعامل معه كوسيلة لتحقيق غايات الإنسان.

انطلاقا من الزاوية الحقوقية القائمة على المدخل الأخلاقي، عمل ريغان على دحض التصور الديكارتي الذي يقضي الحيوان من دائرة الوعي. استعمل ريغان في هذا السياق مفهوم «وعي الحيواني» (animal awarness). وقد حاول إثبات هذا الادعاء من خلال مجموعة من الحجج، أهمها اللغة. حسب ديكارت، اللغة؛ أي استعمال الكلمات، هي أمر خاص بالبشر. أما الحيوانات، فيمكنهم أن يرددوا بعض الكلمات ولكن عن طريق التدريب، لكن ريغان يشير إلى أمر هام هنا، فإذا قيل أن اللغة هي العلامة على الوعي وخاصة بالبشر، فهل يعني هذا أن الأطفال (البشرية) الصغيرة هي عبارة عن حيوانات، تصبح بشرا بعد استعمالها للغة.¹⁸ ومن الواضح أن فلسفة ديكارت لن تقدر على تفسير هذه المفارقة. لقد كان واضحا مع ريغان أن الوعي كمعرفة لما يدور في المحيط ليس حكرا على البشر، يسري على الحيوانات أيضا. إن القول إن الحيوانات لا تمتلك الوعي، فقط لأنها لا تستطيع استخدام الكلمات، هي فكرة ديكارتيّة؛ أي فكرة تتماشى مع كل نسق فلسفي يرى أن الوعي هو شيء خاص للإنسان. أما الآن، وقد انتقلت الفلسفة من هذا الاعتبار إلى تصور الوعي على شيء كوني، حيث يبدو من المعقول الاعتراف بأن لكل كائن حي نصيبه من الوعي الذي يجعله باقيا في الحياة.¹⁹

III. دور الأحداث التاريخية في ظهور الفلسفة البيئية:

إن ما نقصده بالأحداث التاريخية هنا هو مجموعة من الوقائع التي ميزت الفترة المعاصرة، والتي كان لها دور كبير في ظهور الفلسفة البيئية، ونقصد على وجه الخصوص الثورة الصناعية وما صاحبها من أحداث اقتصادية مهمة، والمنعطف الكوني في الحضارة البشرية المعاصرة أو ما يعرف لاحقا بالعمولة. هذه الأحداث تؤثر بشكل مباشر على البيئة داخل كوكب الأرض، وهو ما أدى إلى تنامي الأصوات المنددة بسلوك التصنيع المعاصر والثقافة العمولية؛ لأنها تلحق الضرر الملحوظ على البيئة. وهذا المقاربة هي ممكنة من الناحية الفلسفية؛ لأن الثورة الصناعية التي عرفتها البشرية تبقى في آخر المطاف نتيجة لمجهودات العلماء.

يشير المنتدى الاقتصادي الدولي، وهي مؤسسة غير ربحية تسعى لتطوير العالم عن طريق الدمج بين العلم والاستثمار، إلى أننا الآن في المراحل الأولى للثورة الصناعية الرابعة، القائمة على استخدام تقنية النانو والتكنولوجيا الحيوية، وهو ما يعني أن هناك مسيرة من التقدم التكنولوجي الذي لا يمكن تفسيره إلا بالعودة

18 Regan Tom The case for animal rights (Los Angeles: University of California press, 1983), p. 15

19 Ibid., p. 12

إلى الثورات الصناعية السابقة وخاصة الأولى منها.²⁰ تميزت الثورة الصناعية الثالثة بهيمنة ما يسمى الثورة الرقمية وظهور عالم الإنترنت (العالم الافتراضي)، بينما تميزت الثورة الصناعية الثانية بظهور اختراع الحاسوب وأدوات أخرى لا تقل أهمية عنه مثل الميكروسكوب. أما الثورة الصناعية الأولى، فقد ارتكزت حول استغلال الماء والبخار من أجل زيادة الإنتاج الفلاحي والصناعي نظرا للطلب المتزايد إثر النمو الديمغرافي، وقد تميزت هذه الثورة بمجموعة من الاختراعات مثل المضخة والقطار.

لا يمكن القول إن آثار الثورة الصناعية منذ بدايتها كانت سلبية؛ لأن فوائدها لا تعد ولا تحصى ولا يمكن لأي أحد إنكارها. لهذا، فإن التركيز على آثارها السلبية هو من أجل إيضاح سياقات ظهور الفكر البيئي خلال الفترة المعاصرة. فالزيادة المهولة الطلب على المنتجات الصناعية إبان نهايات القرن 19 والقرن 20، وتعقيد طرق التجارة في هذه الفترة أدى إلى زيادة الإنتاج، الشيء الذي أدى إلى ظهور المصانع الكبرى والمناجم. كان هذا هو سبب ظهور الحضارة الكونية التي تجلت في الهجرات بين القارات واستقرار العمال في مناطق العمل مثل أوروبا وأمريكا، وظهور الأسفار للعوام ووسائل النقل.

كانت تداعيات التجارة الكونية تفرض على الطبيعة إنتاج ما ليس في مقدورها إنتاجه بطرقها هي؛ أي إنها أصبحت تبتز وتحفز لإنتاج كميات كبيرة من الخيرات. كان للعلماء دور كبير في البحث في كفاءات وطرائق الإنتاج بطرائق بشرية وليست طبيعية، وهو ما أدى في آخر المطاف إلى تدهور قوى الطبيعة. لقد احتاجت الجماعات البشرية لأكثر من قرن من الزمن لتستوعب أن ابتزاز الطبيعة يهدد البيئة. فاجتماعات الأمم المتحدة حول مخاطر الثورة الصناعية لم تحدث لا في النصف الثاني من القرن 20، كندوة ستوكهولم حول البيئة البشرية عام 1972 على سبيل المثال. انتهت هذه الندوة بتقرير يؤكد الحاجة إلى اعتبارات وتصورات ومبادئ مشتركة للحفاظ على البيئة. تقر هذه الوثيقة بأن الإنسان هو المسؤول الأول عن ازدهار أو تدهور البيئة الطبيعية، وأن لا بقاء ولا تطور اقتصادي في ظل عدم استصلاح تلك البيئة.²¹ إن ما يمكن ملاحظته في هذه الوثيقة هو أنها على الرغم من تركيزها على آثار الثورة الصناعية على البيئة الطبيعية، إلا أن المقاربة المعتمدة هي إرجاع سبب التدهور إلى العامل السياسي، خاصة وأن هذه الفترة هي فترة ما بعد الحربين العالميتين اللتين راح ضحيتها أكثر من 50 مليون فرد - بغض النظر عن الضحايا من الأنواع الأخرى، وفترة الحرب الباردة بين القطب الغربي الرأسمالي بزعامة و. م. الأمريكية والقطب الشرقي الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفياتي، وهو ما يعني أن تسابق الدول نحو التسلح والصناعة العسكرية قد يحظى بحصة الأسد في تفسير تدهور البيئة الطبيعية والاجتماعية للناس.

أما في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال الدورة 70 من أعمالها الذي اتخذته عام 2015، والذي يهدف إلى وضع خطة التنمية المستدامة في أفق عام 2030. إن الدلالات الكبرى لهذا القرار هو أن التأثير

20 محمد عبد الستار البدري، من التاريخ: الثورة الصناعية الأولى والاقتصاد الدولي (الموقع الإلكتروني: الشرق الأوسط: 6 فبراير 2016).

21 Report of the united nation conference on the human environment (Stockholm: 5-16 June 1972), p. 3

السلبى للثورة الصناعية (في مستواها الثالث الرقمي) ازداد حدة وعمقا ولم يتراجع كما كان مخطط له منذ قرار الأمم المتحدة عام 1972. كان شعار هذا القرار يقوم على خمسة مصطلحات أساسية هي: الناس، والكوكب، والازدهار، والسلام، والشراكة. لقد جاء في ديباجة هذا القرار ما يلي: «تمثل هذه الخطة برنامج عمل لأجل الناس وكوكب الأرض ولأجل الازدهار، وهي تهدف أيضا إلى تعزيز السلام العالمي في جو من الحرية أفسح. ونحن ندرك أن القضاء على الفقر بجميع صورته وأبعاده... وستعمل جميع البلدان والجهات صاحبة المصلحة على تنفيذ هذه الخطة في إطار من الشراكة والتعاونية».²²

إن ما يظهر أكثر أن البيئة هي قضية القضايا اليوم هو توالي اجتماعات ومؤتمرات، خاصة مؤتمرات التغيرات المناخية والاحتباس الحراري، كمؤتمر باريس عام 2015 ومؤتمر مراكش عام 2016 ومؤتمر إكسبو دبي 2023... حيث يظهر جليا أنه يجب على الجماعات البشرية والبلدان وضع خطط أكيدة وجدية وفعالة تضمن على الأقل التقليل من التأثير السلبى للتصنيع على المنظومات البيئية في الوقت الحالي (الذي يمكن تسميته عصر النفط)، والحد منه في المستقبل.

خاتمة:

من خلال ما سبق، يمكن ملاحظة أن هناك مجموعة من الأسباب التي أدت إلى ظهور الفكر البيئي في الفترة المعاصرة، باعتباره فكرياً يستجيب ويتفاعل مع الأسئلة الكبرى التي تطرحها تلك الفترة بحسبانها فترة هيمنة العلم والتكنولوجيا ودخولهما لحيز الفعل والتفكير والرغبة الإنسانية. من الزاوية الفلسفية، فقد ظهرت مجموعة من الأصوات التي كرست مجهودها وكفاءتها من أجل الانخراط في هذا النقاش الكبير حول البيئة، ما أدى إلى إنتاج فلسفة بيئية حقيقية وصريحة تطالب بحلول جذرية لمشكلة البيئة، باعتبارها مشكلة توضع على المحك حياة البشر وباقي الأنواع، فهي مشكلة لا تناقش حيثيات وطرائق التعايش والحياة بين الأجناس والأعراق والثقافات، بل إنها تناقش إمكانية الحياة في أصلها وإمكانية العافية في ظل التدهور المستمر لإمكانات كوكب الأرض.

بالاعتماد على كتاب مايكل زيرمان يحمل عنوان الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية (في جزأين)، فإن الفلسفة البيئية هي مجموعة من التصورات والنظريات الفلسفية لمجموع من الفلاسفة، بينها اختلافات كثيرة بحسب نظرة كل فيلسوف. يقسم زيرمان الفلسفة البيئية إلى قسمين أساسيين: قسم يسميه الأخلاق البيئية، الذي يركز النقاش على المستوى الأخلاقي وحقوق الكائنات؛ أي العلاقة الأخلاقية بين الإنسان وواجباته تجاه باقي الأنواع، وآخر يسميه الإيكولوجيا الجذرية التي تناقش قضايا البيئة في نطاق أوسع يشمل المعطى الميتافيزيقي والمعرفي والاجتماعي والسياسي، والذي يضم مجموعة من التوجهات مثل الإيكولوجيا العميقة والنسوية الإيكولوجيا والإيكولوجيا الاجتماعية...²³ وهكذا يبدو، في تقديرنا، أن الفلسفة انتقلت من التمرکز الإنساني إلى التمرکز البيئي؛ أي من مناقشة الإنسان كقضية أولى وكحامل ومحموله هو العالم إلى مناقشة البيئة وقضاياها؛ لأنها هي الحامل ومحمولاتها هي الإنسان وغيره من الأنواع.

23 مايكل زيرمان، الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ترجمة معين شفيق رومية (الكويت: عالم المعرفة، 2006)، ص 19-18.

لائحة المراجع:

مراجع باللغة العربية:

- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، (القاهرة: المصرية العامة للكتاب، 1977).
- شارلز داروين، أصل الأنواع (ترجمة اسماعيل مظهر، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، 2015).
- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 25 شتبر 2015
- كلاين إتيان، رحلة قصيرة في عالم الكوانتا، ترجمة ذ. كمال الكوطني (المغرب: مطبعة نجمة الشرق، 2021).
- مايكل زهرمان، الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ترجمة معين شفيق رومية (الكويت: عالم المعرفة، 2006)
- محمد عبد الستار البدري، من التاريخ: الثورة الصناعية الأولى والاقتصاد الدولي (الموقع الإلكتروني: الشرق الأوسط: 6 فبراير 2016).

مراجع باللغات الأجنبية:

- Alexander Thoma C., the human eros: eco-ontology and aesthetics of existence (New York: Fordham University press, 2013).
- Baakrime abdelmajid, La relation perceptive selon Alhazen et ses retombées philosophiques.
- Bouveresse Jacques, le mythe de l'intériorité (Paris: Minuit, 1976).
- Dewey John, The Influence of Darwin on Philosophy (New York: Henry Holt and Company, 1910).
- James william, essays in radical empiricism (New York: Longmans, green and co, 1912).
- McDonald Hugh P., John Dewey and environmental philosophy (New York: state University of New York press, 2004).
- Regan Tom The case for animal rights (Los Angeles: University of California press, 1983).
- Report of the united nation conference on the human environment (Stockholm: 5-16 June 1972)
- Russell Bertrand, my philosophical development (New York: simon and Schuster, 1959).
- Teehan john, Evolution and Ethics: The Huxley/Dewey exchange (U. S. A.: the journal of speculative philosophy, 2002).

 Mominoun

 MominounWithoutBorders

 @ Mominoun_sm

info@mominoun.com

www.mominoun.com

مُهْمِنُون بِلا حدود

Mominoun Without 3orders

www.mominoun.com للدراسات والأبحاث

